القطيعة الابستمولوجيا (المعرفية) وأنصار الاستمرارية:

تعد مشكلة المسار الذي تسلكه المعرفة العلمية واحد من أهم المشكلات الابستمولوجية، إن خصائص المعرفة العلمية تختلف كليا عن المعرفة العامية، فهل هذا يعني أن الأولى منفصلة في تطورها ونشأتها عن الثانية أم أنها متصلة بها رغم ما بينهما من تباين؟

لقد انقسم الابستيمولوجيون في النظر إلى هذه المشكلة إلى فريقين، فريق نظر إلى مسار العلم على أنه سيرورة متصلة مستمرة لا انقطاع فيها ولا انفصال، وفريق يقول بانفصال وانقطاع بين المعرفتين.

1- أنصار الاتصال والاستمرارية:

يعد إميل مرسون (emil meyerson) من وجهة نظر هذا الاتجاه أهم دعاة الاتجاه الذي يقوم بالاستمرارية، والمعرفة العلمية استمرار وتطور للمعرفة العادية، كما أن كل معرفة علمية جديدة هي استمرار للمعرفة العلمية السابقة فتاريخ العلم سلسلة يتولد بعضها من بعض، وما التغير الذي يحدث في العلم إلا تغير تدريجي، إن أصحاب هذا الرأي ينظرون للعلم إذن على أنه سلسلة حلقات متصلة والمعرفة العلمية ما هي إلا حلقة من هذه الحلقات "فكونت" مثلا "رأي أن المعرفة البشرية مرت بثلاث مراحل متصلة (لاهوتية، ميتافزيقية وأخيرا علمية أو وضعية). كما يرون أن المعرفة العلمية لم تنشأ من عدم بل هي حصيلة تطور لمعارف عامية وخبرات شخصية ذاتية فالكيمياء مثلا "التي أسسها" لافوازيه "هي امتداد لفكر الشعوذة والسحرة المصريين وعلم الفلك امتداد لعلم التنجيم والصيدلة امتداد

للتداوي بالأعشاب إلى غير ذلك من العلوم، إذ يرون انه لا يوجد فرق جوهري بين المعرفتين، إضافة إلى هذا يستدلون بالتطور التدريجي للمنهج العلمي وطريقة انتشاره، يقول ماكس بلانك: "لا فرق في الطبيعة بين الاستدلال العلمي والاستدلال العادي اليومي، وإنما الفرق بينهما في درجة النقاء والدقة وهذا شبيه شيئا ما بالاختلاف بين المجهر والعين المجردة، فالمنهج العلمي الاستقرائي الحديث تمتد جذوره في الماضي وقد تم انتشاره واستيعابه شيئا فشيئا عن طريق علماء متخصصين في العلوم الطبيعية ولا سيما علم الفيزياء.

أما من حيث اللغة فيرى أنصار الاستمرارية أنها استمرار اللغة العامية، مع تميز لغة العلم من هذه الأخيرة بطابعها الرمزي.

2- أنصار الانفصالية أو القطعية:

يعتبر غستون باشلار وتوماس كوهن رواد فكرة القطعية والانفصال بين المعرفة العلمية والعامية ويرون أن تاريخ العلم تاريخ قطع بين المعارف العامية البالية والمعارف العلمية الباقية، حيث يتحدث باشلار عن القطيعة الابستيمولوجية باعتبارها المضمون الذي يقف وراء عدم جعل تاريخ العلم تاريخ يتقدم خطي بل هو تاريخ الزمن العمودي أو تاريخ المنفصل أيضا في العلم، حيث القطيعة موجودة في التاريخ بشكل عام وفي تاريخ العلوم بشكل خاص ويعتبر" غاليليه" أول من أحدث قطيعة حقيقية مع معرفة العالم القديم، إنه يمثل القطيعة

الكبرى مع العصور الوسطى وفضائها العقلي، هذه القطيعة رسخها ديكارت على المستوى الفلسفي وكان أول منظر لها وللعلم الحديث بأكمله، ولكن هذه القطيعة لم تطرأ على كل العلوم في اللحظة نفسها، فهي قد أثرت على علوم الفيزياء والميكانيك أولا ثم انتقلت إلى مجالات أخرى، وكانت العلوم الإنسانية آخر مجال هذه المجالات.

وعليه فتعتبر القطيعة الابستمولوجيا هي الفاصل بين المعرفة العلمية والمعرفة العامية فالمعرفة العلمية ليست امتداد للمعرفة العامية بل هي انتقال من التجربة إلى العقلنة (Rationalisation) ومن الملاحظة المضطربة إلى المعرفة الموضوعية، فبنية المعرفة العلمية تختلف جوهريا عن بينة المعرفة العامية بقول باشلار "لابد لنا أن نقبل القطيعة بين المعرفة الحسية والمعرفة العلمية"

ولو صح أن المعرفة العلمية هي استمرار للمعرفة العامية لصح أن يكون اختراع المصباح الكهربائي استمرار للمصباح العادي.

و لكن الامر ليس على هذا النحو، فاختراع المصباح الكهربائي ثمرة معرفة علمية بالعلاقات بين الظواهر و دراسة وصلت إلى مرحلة التعبير عن هذه العلاقات يصيغ رياضية .

كما ان الممنهج العلمي لا يقوم على الاستمرارية فكتاب ديكارت " مقال في المنهج " لا ينطوي اليوم على أي فائدة تذكر في البحث العلمي. كما ان المنهج بيكون الاستقرائي لم يعد صالحا في تحصيل المعرفة العلمية.

فلسفة العلم ومناهجه معياران أساسيان في حدوث القطيعة الابستمولوجيا فلغة العلم متجددة دائما والعلم صياغة مستمرة للمفاهيم و المصطلحات إلى حد تغدو معه لغة المنطق الرمزية "لرسل" مختلفة كليا عن لغة منطق ارسطو , و لقد توصل مؤسسو علم الفيزياء الحديث إلى ان المنهج الاستقرائي أصبح عاجزا عن قراءة كتاب الطبيعة ، و لهذا عولوا على المنهج الاستنباطي الرياضي , و لقد توصل نيوتن إلى نظرية في الميكانيك و قانون الجاذبية عن طريق المنهج الاستنباطي و ليس الاستقراء كما تختلف القواعد التي يعتمدها علم في زمن معين عن زمن اخر فقواعد فزياء اينشتاين تختلف من حيث المبدأ عن فيزياء نيوتن .

وأخيرا نستخلص أن دراسة تطور العلم تختلف باختلاف معيارا لدراسة فإذا نظرنا إليه من زاوية تاريخية فهو امتداد للمعرفة العامية أو سابقة أما إذا نظرنا من زاوية نقدية أي من حيث المبادئ والمناهج و الأدوات و للنتائج فهو بناء خاص لا يشترك مع المعارف السابقة في شيء